مفاهيم إسلامية

(٣)

مفتريات هيكل في خريف الغضب

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لعلنا لا نضيف جديدًا حين نقرر أن المثقف المسلم في العالم الإسلامي مسؤول مسؤولية مباشرة أمام ربه ثم أمام أمته وخصوصًا أن أمته تواجه تحديات متداخلة ومتشابكة تاريخية ومصيرية.

ولعلنا لا نضيف جديدًا حين نقرر أن الصراع الفكري في عالمنا الإسلامي، مرتبط أشد الارتباط وأوثقه بتلك التحديات.

ومن هنا وانطلاقًا من مسئوليتنا فإن علينا أن نحذر أشد الحذر ونحرص أشد حين نتصدى لنقد كتاب مثلاً حتى لا نصبح ضحايا للغزو الفكري ونسبح في عكس اتجاه مصالح أمتنا.

إن علينا أن نستخدم وسائلنا الثقافية ومن ضمنها نقد الكتب في زيادة وعي أمتنا وإثراء نضالها.

وعلينا في الوقت نفسه أن نتصدى لكل محاولة لتزييف وعي أمتنا أو تطويق نضالها.

***

إننا ندرك بوضوح حقيقة الصراع بين المدرسة الإسلامية، والمدرسة الاستعمارية العلمانية بشقيها اليميني واليساري وعلى هذا الأساس فسوف نركز على ما يمس الحركة الإسلامية وما يمس نضال أمتنا.

وانطلاقًا مما سبق فإننا سنحاول كشف محاولات المدرسة الاستعمارية - متمثلة هنا في محمد حسنين هيكل أحد جنودها - محاولات تلك المدرسة في التزييف والتضليل ومحاولة سحب رصيد الوعي لدى الجماهير وتطويق نضالها خدمة للاستعمار سواء عن طريق عدم تشخيص أمراضنا تشخيصًا سليمًا أو الاتجاه بنا في مسارات جانبية أو القفز بما هو ثانوي ليصبح جوهريا أو ما هو جوهري ليصبح ثانويا إلى آخره من أساليب الغزو الفكري.

***

عادة ما يواجه إنسان منا يحاول أن يقدم رؤية لكتاب - عادة ما يواجه مشاعر معينة قد تكون المتعة أو القرف. قد تكون الصعوبة أو السهولة قد تكون الاختلاف أو الاتفاق.

ولكننا حين نواجه محمد حسنين هيكل فالإنسان يضطر اضطرارًا إلى ضبط نفسه والصبر على الكذب والتضليل حتى يستطيع أن يكمل الكتاب إلى آخره.

فهيكل كمثقف لا يساوي كثيرًا، وهو برغم أنه ابن المدرسة الاستعمارية. فهو ليس أقوى جنودها أو أذكاهم.

إنه ببساطة لا يمتلك حتى الأداة الفكرية المنهجية للمدرسة الاستعمارية، وهو دائمًا يطرح الشيء ونقيضه، ويظهر قدرًا من الغرور والتعالي يثير السخرية أكثر مما يثير الخوف.

ومن هنا تأتي سهولة التعامل مع هيكل. سهولة كشفه. بل سهولة ضبطه متلبسًا بالتضليل.

على أن للمسألة جانبًا آخر حيث إن التعامل مع هيكل يستدعي في النفس قدرًا كبيرًا من الغثيان لأنك أمام مثقف دعيٍّ.. لا يصدق إلا نادرًا ومصاب بالنرجسية

حتى الهوس.

***

تكمن أهمية كتاب خريف الغضب في:

١- أنه تمثيل جيد لشخصية وفكر كاتب مثل هيكل وبالتالي فإننا يمكننا أن نضع أيدينا على مجموعة من الخصائص التي يتميز بها مثقفونا المعاصرون والتي تنسحب بشكل أو بآخر على نضال شعوبنا من أجل الحرية والعدالة وبناء المجتمع الإسلامي المعاصر.

٢- أن الكتاب يمس فترة من أخطر فترات تاريخنا المعاصر وبالتالي فإن أي خطأ في تحليل هذه الفترة يؤثر حتمًا على مسيرة نضالنا.

٣- أن الكتاب يمس الحركة الإسلامية وبالتالي فإننا مطالبين أن نكون شديدي الحذر حتى لا ننزلق إلى هاوية التحليل الخاطئ فيما يمس هذه الحركة؛ لأن ذلك يعني انكسارًا حادًا في مسيرة نضال أمتنا على أساس أن الحركة وبحكم تاريخها وظروف الصراع في العالم هي طليعة الأمة في مواجهة تحدياتها وقد ارتبطت بشكل لا ينفصم بكل ما هو إيجابي في نضال أمتنا وبكل إنجاز في تاريخها القديم والمعاصر.

بل إننا نستطيع أن نجزم دون أن تطرف لنا عين أن كل المكاسب التي حققتها شعوبنا قد جاءت على يد رجال الحركة الإسلامية الذين أريقت دماؤهم وسنوات عمرهم خلف القضبان ثمنًا لتصديهم الطويل والدائب والفذ للاستعمار والصهيونية والاستبداد السياسي، وأنه لولا الحركة الإسلامية لضاعت أمتنا منذ أمد بعيد.

٤- إن الكتاب في النهاية هو حلقة من حلقات الغزو الفكري لعالمنا الإسلامي.

إننا ندرك بوضوح أن معركة أمتنا مع الاستعمار والصهيونية والاستبداد السياسي والظلم الطبقي تتماشى بشكل مباشر مع قيمنا الثقافية.

وإن الغزو الفكري هو أحد أفتك أسلحة الاستعمار ضدنا.

إن كتاب خريف الغضب فرصة طيبة لتوضيح جدل العوامل السابقة وترابطها. وسوف نركز في نقدنا له على تلك العوامل متوخين الإيجاز وضرب الأمثلة الواضحة جدًا.

***

الكتاب :

الكتاب يقع في ٥٦٥ صفحة من القطع الكبير وطباعته فاخرة.. ولقد كتب باللغة الإنجليزية أصلاً وترجمه المؤلف بنفسه إلى العربية - انظر كيف تصبح لغة الثقافة الأساسية لدى مثقفينا هي اللغة الإنجليزية برغم كونهم عربًا.

والكتاب يضم مقدمة وستة أجزاء هي على التوالي: صناعة نجم - النهب الثاني لمصر - الإسلام السياسي - الكنيسة القبطية - العواصف تتجمع - الصواعق.

وسف نتناول المقدمة بشكل منفصل ثم نقوم بنقد أفكار الكتاب ككل غير خاضعين لتقسيم المؤلف.

◆◆◆

مُقَدِّمَة

والمقدمة عادة ما تكون مفتاحًا لفهم الكتاب ومدخلاً له وتحديد هدف الكاتب من الكتاب.

وسوف تكون المقدمة فرصة طيبة لنضع المدرسة الاستعمارية عمومًا وهيكل خصوصًا تحت الدراسة لمعرفة خصائصها وتوجهاتها ومدى خطرها على أمتنا.

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

النمط الغربي :

يقول هيكل في أول صفحة: «إن وقائع هذا الكتاب سوف تكون صدمة لكثيرين في الغرب». وهكذا ومنذ الوهلة الأولى يمكن أن نحدد معيار هيكل وهو كنموذج للمثقف العلماني يعتبر الغرب هو القدوة والنموذج ومناط الاهتمام.

وكذلك يعتبر المعيار الغربي هو المعيار. وهكذا سيكون الكتاب من أوله إلى آخره على هذا المنوال.

فمثلاً يعتبر هيكل أن أخطاء السادات ترجع إلى كونه لم يفهم طبيعة العلاقات الدولية أو خصائص القوى المتحكمة في العالم - وليس لأنه لم يقوم بتعبئة شعبه وفقًا لمعايير ذلك الشعب وقيمه وتراثه الأخلاقي.

وهكذا فإننا ودون أن نشعر ننزلق مع هيكل ليحدد لنا ويلقي في وجداننا المعيار الغربي العلماني فهيكل يرفض معنا أو مثلنا تجربة السادات ولكن من منظور غربي. وهذه أولى حلقات الغزو الفكري.

وهكذا فإنه يحجب عنا الضوء الذي ألقاه نضال الشعب المسلم في مصر ضد السادات لإرساء معيار إسلامي للحكم على سياسات نظام ما.

ذلك المعيار الذي أثراه بالدم والعرق والصبر كل المجاهدون مسترشدين بتجربة الرسول الكريم وصحابته ومن سار على نهجه طوال التاريخ، وآخرهم المجاهدون والمعاصرون من أمثال محمد كريم، عمر مكرم، عرابي، النديم، الأفغاني، مصطفى كامل، فريد، حسن البنا، سيد قطب، أحمد المحلاوي، حافظ سلامة.

هؤلاء الذين أدركوا تشابك الصراع السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وأدركوا أن الاستقلال ليس مجرد استقلال عسكري مزيف

ولكن نمط مستقل في الحياة اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا وتحرير الإرادة والتوجيهات.

***

النرجسية:

وككل المثقفين العلمانيين يمارس هيكل نرجسيته بشكل فج.

فهو الذي اختار السادات نائبًا لعبد الناصر، وهو الذي أدى به إلى منصب الرئاسة، وهو الذي قدم إليه التوجيهات الحاسمة في حسم صراع السلطة ضد مراكز القوى عام ١٩٧١.

وهو الذي شارك في التخطيط لحرب أكتوبر.

والنرجسية سمة أساسية من سمات المثقف العلماني فالكون كله يتمحور حول ذلك المثقف فهو الذي فعل كذا ورفض كذا.

على أن خطورة تلك الصفة على نضال أمتنا يدفعنا دفعًا إلى مناقشتها.

المثقف أصلاً مسئول أمام أمته. له رسالة محددة. عليه أن يفهم طبيعة أمته، طبيعة مشاكلها وتحدياتها، طبيعة القوى المناوئة لها.

عليه أن يناضل بالدم والعرق ضد كل المؤامرات التي تحاك ضدها. عليه ببساطة أن يقف مع أمته بل في طليعتها ضد الاستعمار والصهيونية، وضد الاستبداد السياسي. عليه أن يلقي الضوء الهادي لأمته. عليه أن يدافع عن أمته، عن حريتها وكرامتها.

ولكن وبسبب النرجسية نجد المثقف يقف مع نفسه يقف مع كل نظام أو مؤسسة تسمح له أن يكون أحد أركانها أو إذا سمحت له بالانتشار أو حقق

مكاسب ماديا في ظلها.

ويصبح المثقف أسيرًا لنفسه فهو يدافع ويمجد كل مؤسسة أو نظام نال من خلاله أو في ظله الحظوة والنفوذ ووسائل الانتشار، بصرف النظر عما إذا كان ذلك النظام أو المؤسسة مع أمته أو ضدها.

بصرف النظر عما تم في ظل ذلك النظام أو المؤسسة من سحق لكرامة الإنسان أو مصادرة لحريته أو سفك لدمائه أو خيانة لقضايا الوطن. بل نجد ذلك المثقف يشارك في صنع هذا وتبريره.

ويرتبط بالنرجسية ارتباطًا مباشرًا خلق آخر وصفة أخرى وهي «الكذب». وهيكل كمثقف علماني استعماري خير مثال وأوضح نموذج للكذب.

انظر إلى هيكل كيف يدعي أنه صنع السادات، وكيف أنه صفى مراكز القوى مع السادات، وكيف أنه أسهم في التخطيط وسوف نختار واحدة من أكاذيبه، كمثال.

يدعي هيكل أنه شارك في التخطيط لحرب أكتوبر وبالرجوع إلى مقالات هيكل في عام ١٩٧٢ تحت عنوان بصراحة في أهرام الجمعة نجد هيكل يركز على ما يلي:

- عدم قدرة القوات المسلحة على الدخول في معركة إسرائيل وأنها تعاني من نقص حاد في الخبرة والسلاح.

- أن الجيش الإسرائيلي لا يقهر وأنه أقوى الجيوش في المنطقة وأن أي محاولة لعبور القناة ليست إلا مجرد انتحار جماعي.

- أن جميع القوى - الولايات المتحدة - الاتحاد السوفيتي - أوروبا تستفيد من حالة الاسترخاء العسكري.

ولقد أحدثت تلك المقالات هزة عنيفة داخل أوساط القوات المسلحة المصرية

والشعب المصري وأوصلت الكثير إلى حافة اليأس.

فهل يعود هيكل كاهن اليأس إلى الادعاء بأنه أحد مخططي حرب أكتوبر؟

* * *

الكتاب:

كما قررنا سلفًا فإننا سوف نركز في نقدنا للكتاب على ما يمس الحركة الإسلامية وما يمس نضال شعبنا وسوف نهتم بما قام به هيكل من تضليل وتزييف وتطويق لوعي أمتنا متوخين ضرب الأمثلة الواضحة جدًا والفجة جدًا وبالتالي فإننا سنناقش قضيتين رئيسيتين:

١- الغزو الفكري الذي مارسه هيكل.

٢- ما يمس الحركة الإسلامية.

◆ ◆ ◆